

هو
١٢١

(المجلد التاسع)

متن

بيان السّعادة في مقامات العبادة

تأليف

العارف الشّهير

الحاج سلطان محمّد الجنايذى الملقّب بسلطانعليشاه

طاب ثراه

سُورَةُ مَرْيَمَ

مَكِّيَّةٌ بِتَمَامِهَا، وَهِيَ ثَمَانٍ وَتِسْعُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كَهَيْعَصَ﴾ قد سبق في أوّل البقرة ما به غنية عن بيان امثال هذا، وذكر في خصوص هذا أنّه اُشار بالكاف الى كربلاء، وبالهاء الى هلاكة اهل البيت، وبالياء الى يزيد و بالعين الى عطشهم و بالصّاد الى صبرهم.

و نسب الى امير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في دعائه: اسألك يا كهيعص.

و قرئ باخفاء نون عين و القياس اظهره لانّ سكون الحروف المقطّعة في اوائل السّور عرضيّ بعرض الوقف بنيّة الوصل فلا ينبغي اجراء حكم السّكون والوصل عليها.

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً﴾ قرئ ذكر مصدراً مرفوعاً، و فعلاً ماضياً من الثلاثيّ، وامراً من التّفعل، وعلى الأوّل كان خبراً لما قبله او

لمحذوفٍ، او مبتدئٍ لمحذوفٍ، او مبتدئٌ خبره زكريّا، او خبره اذ نادى، و رحمة ربّك، فاعل المصدر مضافٌ اليه او مفعوله، والفاعل محذوف اي ذكر ربّك رحمة ربّك عبده، او الفاعل زكريّا او رحمة ربّك، مضاف اليه لادنى ملابسةٍ والفاعل مثل سابقه والمعنى ذكر ربّك برحمة عبده، وعبده مفعول الذّكر او الرّحمة و زكريّا بدل منه او عطف بيانٍ او فاعل الذّكر او مفعوله او خبر منه، و كون زكريّا خبراً للذّكر باعتبار انّ الكامل وجوده ذكر للرّبّ، و زكريّا بالمدّ والقصر وتشديد الياء، وكذا بتشديد الياء وتخفيفه بدون المدّ والقصر اسم.

(إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ) اذ ظرف للذّكر او للرّحمة او مفعول للذّكر او خبر له او بدل من الرّحمة او من عبده او من زكريّا نحو بدل الاشتمال.

﴿نِدَاءٌ خَفِيًّا﴾ لضعف الشّيخوخة او لانه كان اقرب الى الاخلاص او لخوف اطلاع الموالي على طلبه للولد ومعاذتهم له بذلك او لخوف اطلاع الخلق على طلبه للولد وقت اليأس عن الولد وملامتهم له على ذلك.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ اظهار لعجزه ومسكنته مقدّمة للدّعاء، او اظهار ليأسه عن الولد واتّكاله فى دعائه على محض فضله من دون مدخليّة الاسباب الطّبيعيّة ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ فى الارث الصّورىّ من التّضييع والنّزاع والخلاف، او فى الارث المعنوىّ من الاختلاف وتضييع العباد،

وهذا اشعارٌ بأنَّ دعاءه خالٍ من مداخله الهوى مقدّمةً للإجابة.

و قرئ خفت بضمّ التاء من الخوف وخفت الموالى بكسر التاء و تشديد الفاء من الخفّة يعنى خفّت الموالى ﴿مِنْ وَرَأَى﴾ و لم يكن لهم حلم يمكنهم به تحمّل متاعب الهداية من العباد ﴿وَكَانَتْ أُمْرَاتِي عَاقِرًا﴾ اظهار ليأسه من الاسباب و اتّكاله فى دعائه على فضله، والعاقرة يستوى فيه المذكر والمؤنث.

﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ لا من الاسباب ليأسى من الاسباب ﴿وَلِيًّا﴾ يلى امورى بحسب الظاهر والباطن ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ قرئ بالرفع والجزم، و قرئ وارث آل يعقوب بنصب وارث و اضافته على ان يكون حالاً من احد الضميرين.

و قرئ او يرث آل يعقوب على التصغير، و وارث من آل يعقوب بالرفع على ان يكون فاعل يرثنى ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ مرضياً.

﴿يَزَكِّرِيَا﴾ جواب سؤال مقدّر بتقدير القول كأنه قيل: ما قال فى جوابه؟ - فقال: قال الله: يا زكريّا ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ ولد ذكر ﴿أَسْمُهُ يَحْيَى﴾ الجملة صفة للغلام او جواب سؤال مقدّر ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ هذه صفة بعد صفة او حال او جواب لسؤال مقدّر والمراد بالسّمى المشارك فى الاسم، او المماثل فى الوصف والحال.

﴿قَالَ﴾ قد تكرر فيما سلف ان امثال هذه جواب لسؤال مقدّر

كَأَنَّهُ قِيلَ: فَمَا قَالَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

فَقَالَ: قَالَ «رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ» استفهام للتعجب، واستغرابه كان من قبل الاسباب لا من عطاء مسبب الاسباب ولذلك ذكر عدم المساعدة من جهة الاسباب «وَكَاثَتْ أَمْرًا تِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا» قرئ عتياً بضم العين وكسرهما وهو مصدر بمعنى الكبر او بمعنى يبس الجلد وجفافه ونحول العظم والمفاصل، وقرئ عسيّاً بالسّين بمعناه.

«قَالَ» جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه استبعد من مقام الانبياء ﷺ مثل هذا الاستغراب فقليل: أقال زكريّا ذلك؟ - فقال: قال «كَذَلِكَ» او قال الله او الملك المبشّر الامر كذلك او كذلك مفعول لقومه «قَالَ رَبُّكَ» وقوله «هُوَ عَلَى هَيْئٍ» بيان لكذلك والمجموع مفعول قال الاول، وقرئ وهو على هيين بواو العطف والمعنى انى لاجابة لى الى الاسباب حتى تستغربه بالنظر الى الاسباب «وَقَدْ خَلَقْتُكَ» قرئ خلقناك «مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا» وايجاد المعدوم اصعب من جعل العاقر ولوداً.

عن ابي جعفر عليه السلام: انما ولد يحيى بعد البشارة من الله بخمس سنين «قَالَ» زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ «رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً» علامة اعرف بها الميعاد ووقت الانجاز لاصدق الوعد فانه بعيد عن مقام الانبياء ﷺ. «قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ» اى لا تقدر على التكلّم مع

الخلق دون المناجاة مع الله ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ حالكونك سليماً غير ذي علة بلسانك والمراد ثلاث ليالٍ بأيامها فإنه يستعمل اليوم أو الليل ويراد به دورة الفلك الاطلس بليها ويومها ولذلك قال في سورة آل عمران: ثلاثة ايام الا رمزاً نقل انه اعتقل لسانه عن التكلّم مع الناس ولم يعتقل عن ذكر الله.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ من مصلاه، سمى المصلّى محراباً لكونه محلّ محاربة الشيطان، قيل: وكان زكريّا عليه السلام قد اخبر قومه بما بشر به فلما خرج عليهم وامتنع من كلامهم علموا اجابة دعائه فسروا به.

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾ اومى اليهم، وقيل: كتب في الارض ﴿أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ صلّوا في الصّباح والمساء، او سبّحوا الله فيهما، او في جملة او قاتكم فإنه يستعمل هذان اللفظان في استغراق الاوقات ﴿يَٰحَيُّ﴾ هو بتقدير فأعطيناه الغلام وقويناها وآتيناه الكتاب وقلنا يا يحيى ﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾ اى النبوة او الرسالة او كتاب التّوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ وعزيمة من قلبك وهو اشارة الى التّمكن في مقام النبوة فانّ التّلوين لا يليق بصاحب النبوة.

﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾ اى الرسالة والقدرة على المحاكمة بين الخصوم، او النبوة والحكم بين المخاصمين في وجوده من قوائمه و جنوده، او الولاية وآثارها التي هي الدّقة في العلم والعمل

﴿صَبِيًّا وَحَنَانًا﴾ الحنان كالسحاب الرّحمة والرّزق والبركة والهيبة والوقار ورقّة القلب وهو عطف على الحكم بمعنى اعطيناه رحمة من لدنا او بركة (الى آخر معانيه) فصار مرحوماً او ذا بركة (الى آخرها) او بمعنى اعطيناه رحمةً فصار راحماً وبركة على الغير، او هو بمعنى اسم الفاعل او المفعول وعطف على صبيّاً والمعنى آتيناه الحكم حالكونه راحماً او مرحوماً.

﴿مِّنْ لَّدُنَّا﴾ وحينئذ يجوز ان يكون من لدنا متعلّقاً بآتيناه اي آتيناه الحكم من لدنا حالكونه صبيّاً وراحماً او مرحوماً ﴿وَزَكَاةً﴾ هي في الاعراب مثل حناناً والزّكوة صفوة الشّيء او صدقة تخرجها من مالك لتطهر الباقي او نماء المال.

﴿وَكَانَ تَقِيًّا وَبَرًّا بَوْلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا﴾ متكبراً متطاولاً بالنسبة الى الخلق ﴿عَصِيًّا﴾ بالنسبة الى الحق.

﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ﴾ اي تحية منّا عليه، او سلامة وامن من الآفات البدنيّة والنفسانيّة عليه ﴿يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ ولما كان الاوقات الثلاثة اوّل الخروج والدخول في عالم آخر وهو وقت الانقطاع من المألوف والاتّصال بغير المألوف وكلاهما موحش للانسان خصّصها بالذكر.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتُ﴾ تنحّت ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾ واستعمال الانتباز للاشارة الى انها ذهبت الى تلك النّاحية

بحیث کأنَّها نبذها نابذ فانتبذت من اهلها ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ قيل ذهبت وانغزلت من اهلها فی دار زکریّا الى مشرق الدّار للخلوة للعبادة او للاغتسال، او الى مشرق البلد خارج البلد للاغتسال، او الى مكانٍ یشرق علیه الشّمس لانّها خرجت فی يوم شديد البرد فجلست للاستدفاء بالشّمس، او الى الفرات الى النّخلة اليابسة للغسل قبل الحمل، او للطلق بعد الحمل.

ویكون قوله ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ من قبیل عطف التّفصیل على الاجمال ولا یكون الفاء للترتیب المعنوی، واتّخاذ الحجاب كان فی المحراب او فی المغسل او فی محلّ شروق الشّمس.

﴿فَارْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ یعنی جبرئیل عليه السلام او الرّوح الذی هو فوق جبرئیل، والتّشريف بالاضافة یقتضی ان یكون هذا هو المراد، على انّ التّوجّه الى البشر و تربیة آدم، انما هو من الرّوح الذی هو ربّ النوع الانسانیّ وهو اعظم من الملائكة کلّهم ﴿فَتَمَثَّلَ﴾ ای تصوّر بصورة ﴿لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ قيل تمثّل فی صورة شابّ سوى الخلقه.

﴿قَالَتْ﴾ بحسب اعتيادها التّعوذ بالله عند كلّ مخوفٍ ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ متّقيّاً معتنياً باستعاذتی خائفاً من الله، وقيل: انه كان رجلاً مسمّى بالتّقي وكان مشهوراً

بالفجور فظنت انه هو حيث رآته لا يتقى من النظر الى الاجنبية.
 و قيل: ان نافية والمعنى ما كنت متقياً من الشر لانك نظرت
 الى ما لا يجوز لك النظر اليه ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾
 فلا تستعذى منى به ﴿لَأَهَبَ﴾ قرئ بالتكلم والغيبة ﴿لَكَ غُلَمًا
 زَكِيًّا﴾ طاهراً من الذنوب ومما يتلوّث به البشر او نامياً او مباركاً
 او متنعماً او صالحاً.

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَمٌ﴾ استفهام للتعجب والتحير
 من غلام من غير اسباب التوالد مورث للوم والاثام ﴿وَلَمْ
 يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ يعنى بطريق النكاح المشروع فانه يكتى به عنه
 كثيراً وبقرينة قولها ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ البغى والبغوى الامة الفاجرة
 وكل فاجر.

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىٰ هَيِّئٍ﴾ قدمضى نظيره
 ﴿وَلِنَجْعَلُهُ﴾ عطف على مقدر او متعلق بمعطوف مقدر اى نفعل
 ذلك لنجعله ﴿آيَةً﴾ دالة على آلهتنا وعلى سعة علمنا وقدرتنا على
 ما لا يقدر عليه احد من الالاد من غير والد ومن احياء الموتى
 وبراء الاكمه والابرص ونفخ الروح فى الطين وجعله حياً ﴿لِلنَّاسِ
 وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ عليهم ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ محتوماً.

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ بان نفخت فى جيب مدرعتها، واختلف فى مدة
 حملها فما فى الاخبار الصحيحة ان مدة حملها كانت تسع ساعات

بحذاء تسعة اشهر، و فى بعضها: انّها كانت ساعة، وقيل: انّها كانت ثمانية اشهر او سبعة او ستة اشهر.

و عن الباقر عليه السلام انه تناول جيب مدرعتها فنفخ فيه نفخة فكمل الولد فى الرحم من ساعته كما يكمل فى ارحام النساء تسعة اشهر فخرجت من المسحّم وهى حامل مجّح^(١) مثقل فنظرت اليها خالتها فأنكرتها ومضت مريم عليها السلام على وجهها مستحيية من خالتها و من زكريّا عليه السلام.

﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾ فانعزلت مع الحمل ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ بعيداً. عن السّجّاد عليه السلام خرجت من دمشق حتّى اتت كربلاء فوضعت فى موضع قبر الحسين عليه السلام ثم رجعت فى ليلتها.

اقول: موضع مريم عليها السلام معروف فى سمت الرأس من مشهده عليه السلام ﴿فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾ اى حركة الولد للطلق مخضت المرأة كمنع وسمع وعنى مخاضاً بفتح الميم ومخاضاً بكسرهما ومخضت تمخيضاً وتمخضت اخذاها الطلق ﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ اليابسة التى الهمت ان تأتيها، والجذع ما بين العرق والغصن.

﴿قَالَتْ﴾ بعد ما ولدت عيسى عليه السلام ونظرت اليه ﴿يَلَيْتَنِى مِتُّ﴾ قرئ بكسر الميم وضمّها ﴿قَبْلَ هَذَا﴾ قالت ذلك استحياء ومخافة لومهم ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا﴾ قرئ بكسر النون وهو اجود اللّغتين

١ - مجّح بتقديم الجيم على الحاء المشدّدة بمعنى عظيم البطن.

وبفتحها وهو فى الاصل مصدر يستعمل فى الشئء الحقيق الذى من شأنه ان ينسى وفيما يلقى من الشئء ولا يعتنى به ﴿مَنْسِيًّا﴾ التّوصيف به للمبالغة.

﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ قرئ بكسر الميم وفتحها والمنادى كان عيسى عليه السلام او جبرئيل عليه السلام ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ شريفاً ﴿وَهَزَّىٰ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ هزّه و به حرّكه ﴿تُسْقِطُ﴾ قرئ بضمّ التّاء الفوقانيّة وتخفيف السّين وكسر القاف، وقرئ يساقط بفتح الياء التّحتانيّة وتشديد السّين وفتحها وتخفيف السّين وفتح التّاء الفوقانيّة وتشديد السّين ﴿عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ فَكُلِي وَأَشْرَبِي من الرّطب والماء، او كلى ممّا يتعدّى به واشربى ممّا يشرب فى هذا المكان او مطلقاً.

﴿وَقَرّٰى عَيْنًا﴾ بهذا الولد فانه لا ينبغي ان تحزنى بسببه ولا تكثرى بما توهمت من لوم الجهّال ﴿فَإِمَّا تَرِينَ﴾ اى فان ترى ﴿مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فسألك عن ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ اى سكوتاً ولكونه بمعنى السّكوت فرّع عدم التّكلم عليه، قيل: كان فى بنى اسرائيل انه من اراد ان يجتهد فى العبادة صام عن الكلام كما يصوم عن الطّعام.

ولذلك استعمل الصّوم فى عدم التّكلم ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا﴾ قيل: صارت مأذونة لهذا القدر من الكلام، وقيل: كانت